اسم مشتق من الذكوة وهي الجمرة الملتهبة والمراد
بالذكوات الربوات البيض الصغيرة المحيطة بمقام أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب{عليه السلام}
شبهها لضيائها وتوهجها عند شروق الشمس عليها لما فيها
موضع قبر علي بن أبي طالب {عليه السلام}
من الدراري المضيئة
{در النجف}فكأنها جمرات ملتهبة وهي المرتفع من الأرض،
وهي ثلاثة مرتفعات صغيرة نتوءات بارزة في أرض الغري وقد
سميت الغري باسمها، وكلمة بيض لبروزهاعن الأرض.وفي رواية
إنّها موضع خلوته أو إنّها موضع عبادته وفي رواية أخرى
في رواية المفضل عن الإمام الصادق {عليه السلام}قال:
قلت:يا سيدي فأين يكون دار المهدي ومجمع المؤمنين؟
قال:يكون ملكه بالكوفة، ومجلس حكمه جامعها
وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد
السهلة وموضع خلوته الذكوات البيض

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

No.:
Date:

الرقم:
التاريخ:

ديوان الوقف الشيعي / دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة الذكوات البيض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

إشارة الى كتابكم المرقم ١٠٤٦ والمؤرخ ٢٠٢١/ ١٢/٢٨ والملحقاً بكتابنا المرقم ب ت ٥٧٤٤/٤ في ٢٠٢١/٩/٦ ، والمتضمن أستحداث مجلتكم التي تصدر عن الوقف المذكورة أعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وانشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا أعلاه موافقة نهائية على أستحداث المجلة.

... مع وافر التقدير

أ.م.د. حسين صالح حسن
المدير العام لدائرة البحث والتطوير / وكالة
٢٠٢٢/١/١٧

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية / شعبة التأليف والنشر والترجمة / مع الأوليات.
- الصادرة.

سهى ابراهيم
١٠ / كانون الثاني

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – دائرة البحث والتطوير – القسم الأيمن – المجمع الثربوي – الطابق السادس

إشارة إلى كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير
المرقم ٥٠٤٩ في ٢٠٢٢/٨/١٤ المعطوف على إعمامهم
المرقم ١٨٨٧ في ٢٠١٧/٣/٦
تُعدّ مجلة الذكوات البيض مجلة علمية رصينة ومعتمدة للترقيات العلمية.

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العدد (١٦) السنة الثالثة ذي الحجة ١٤٤٦ هـ حزيران ٢٠٢٥ م
رقم الإيداع في دار الكتب والو ثائق (١١٢٥)
الرقم المعياري الدولي ISSN 2786-1763

عمار موسى طاهر الموسوي
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ.د. فائز هاتو الشرع

مدير التحرير
حسين علي محمد حسن الحسني

هيأة التحرير
أ.د. عبد الرضا بهية داود
أ.د. حسن منديل العكيلي
أ.د.نضال حنش الساعدى
أ.د. حميد جاسم عبود الغرابي
أ.م.د. فاضل محمد رضا الشرع
أ.م.د. عقيل عباس الريكان
أ.م.د. أحمد حسين حيال
أ.م .د. صفاء عبدالله برهان
م.د.موفق صبرى الساعدى
م.د.طارق عودة مرى
م.د. نوزاد صفر بخش

هيأة التحرير من خارج العراق
أ.د.نور الدين أبو لحية / الجزائر
أ.د. جمال شلبي/ الاردن
أ.د. محمد خاقانى / إيران
أ.د. مها خير بك ناصر / لبنان

العدد (١٦) السنة الثالثة ربيع الأول ١٤٤٦ هـ – أيلول ٢٠٢٥ م

الذكوات البيض

التدقيق اللغوي
م.د. مشتاق قاسم جعفر

الترجمة الانكليزية
أ.م.د. رافد سامي مجيد

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العدد (١٦) السنة الثالثة ربيع الأول ١٤٤٦ هـ - أيلول ٢٠٢٥ م

العنوان الموقعي

مجلة الذكوات البيض

جمهورية العراق

بغداد /باب المعظم

مقابل وزارة الصحة

دائرة البحوث والدراسات

الاتصالات

مدير التحرير

٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١

صندوق البريد / ٣٣٠٠١

الرقم المعياري الدولي

ISSN ١٧٦٣-٢٧٨٦

رقم الإيداع

في دار الكتب والوثائق(١١٢٥)

لسنة ٢٠٢١

البريد الالكتروني

إيميل

off reserch@sed.gov.iq

hus65in@gmail.com

دليل المؤلف .....

١–أن يتسم البحث بالأصالة والجدّة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢– أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربي، ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان: أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣–أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word) ٢٠٠٧ أو ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزَّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجِدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٤–أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصغة APA

٦–أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين ألف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧–أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨–أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢)

أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .

٩–أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام الأكتروني(تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.

١٠–تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم،والمسافة بين الأسطر (١) .

١١–في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضّل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢–يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٣–يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤–لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥–لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قُبلت أم لم تُقبل.

١٦–تكون مصادر البحث وهوامشه في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧–يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨–يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الأستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩–يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) ألف دينار.

٢٠–تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١–ترسل البحوث إلى مقر المجلة – دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي بغداد – باب المعظم)

أو البريد الإلكترونيّ:(hus65in@Gmail.com) (off reserch@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في مقر المجلة

٢٢–لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

محتوى العدد (١٦) المجلد العاشر

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	الجوانب الاجتماعية والاقتصادية في نوازل أبن رشد الاندلسي	أ.م. د. رغد جمال مناف	٨
٢	مفهوم الحبوة في الميراث وأحكامها في الفقه الاسلامي	أ.م.د.فاضل عاشور عبد الكريم	٢٠
٣	مدى تقبل طلبة الجامعات العراقية للتعليم الالكتروني: دراسة تحليلية لآراء طلبة قسم تقنيات المعلومات والمكتبات في معهد الادارة التقني– نينوى	أ.م. خالد نوري عبد الله	٣٢
٤	ماهية العقود الاستصناعية من الباطن والخصائص المميزة لها	الدكتور محمد صادقي الباحثة: انتصار علي زياد	٤٨
٥	تفسير القرآن بين أصالة النص وآفاق المستقبل	الباحث: حيدر عبد الرزاق ماجد	٦٢
٦	أُسس الحوار العقدي مع غير المسلمين	م. د. عماد محسن حمدي	٧٦
٧	دور الذكاء الاصطناعي في تحسين استراتيجيات التسويق الرقمي دراسة شركة كرونجي للمشروبات الغازية – كركوك	الباحث:عمر رشيد برع	٨٨
٨	ابراهيم بن عبد الرحمن واخرون من كتاب أسماء الرجال في رواة أصحاب الحديث تأليف / شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي المتوفى سنة ٧٤٣ هجرية / ١٣٤٢ ميلاديه (تحقيق)	الباحث:عمر رشيد برع	١٠٢
٩	المباني التفسيرية في نظريات علوم القرآن عند الشهيد محمد باقر الصدر	م.م حيدر كريم عودة	١٢٤
١٠	أثر الدمج (الكلي والجزئي) لأطفال طيف التوحد مع اقرانهم العاديين في خفض الاضطرابات النطقية	م. م. منال عادل مكي	١٣٦
١١	طرق الري ودورها في استدامة الموارد المائية في ناحية المنصورية	م. م. اقبال فهد سبع خميس	١٤٨
١٢	أثر استراتيجية التعلم النشط في تنمية المفاهيم الاسرية في مادة تربية الطفل والعلاقات الاسرية للصف الخامس الاعدادي لفرع الفنون التطبيقية	م. م. فؤاد حسن حسين	١٥٦
١٣	تأثير الاحتياجات التدريبية في تعزيز المكانة الاستراتيجية للعينة من الموظفين في هيئة البحث العلمي	م. م. ورود نعمه موسى	١٦٨
١٤	البعد الديني والتأمل الفلسفي في مرثية المتنبي لخولة» دراسة أسلوبية»	م. م. أديان نجم عبد الله م. م. نوار صادق حميد	١٨٨
١٥	اشكالات لغة الحوار بين الصامت والمنطوق «عروض احمد محمد عبد الامير أُنموذجا»	م. م. مروة عبد الكريم حمد	٢٠٢
١٦	التحريم والاجتناب في الخطاب القرآني جدلية الصياغة وبناء الإلزام الشرعي	م. د. اسماء ظاهر وناس م. د. مريم هادي رضا	٢١٤
١٧	« الخيال وحلم اليقظة في فلسفة غاستون باشلار» نحو تأسيس كينونة شاعرية»	م.د. حسين عبد علي	٢٢٤
١٨	المثابرة المعرفية لدى طلبة الجامعة	م.م حنان اسعد الله يار نظر	٢٤٠
١٩	استخدام نموذج شيرود لتقييم الأداء المالي في الوحدات العاملة في سوق العراق للأوراق المالية	م. م. زينب عبد الواحد حنون	٢٥٤
٢٠	حساسية المعالجة الحسية لدى معلمات رياض الاطفال	م. م. رسل ناجي أبراهيم	٢٦٦
٢١	الرواة الذين قيل فيهم (حافظ) وتكلم فيهم بسبب الدخول في أعمال السلطان	م.م. عامر علي حمادي أ.م.د. علي نهاد خليل	٢٨٤
٢٢	الأناقة الانفعالية وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية لدى طلبة الجامعة	م. م. وفاء علاء حسين	٣٠٠
٢٣	أثر الصدقة في القرآن والسنة النبوية	م. م. هند نجم عبد الله	٣١٢
٢٤	أثر استراتيجية مقترحة على وفق الانهماك بالتعلم في تحصيل طلاب الثاني متوسط في مادة الاجتماعيات والشغف الأكاديمي	م. أحمد كاطع حسن	٣٢٦
٢٥	الحركات الفلاحية في سوريا ولبنان ١٨٢٠–١٩١٤ دراسة تأريخيه	م.م. آيات أحمد عبدالوهاب	٣٤٨

فصلية مُحَكّمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (١٦) السنة الثالثة ربيع الأول ١٤٤٦ هـ أيلول ٢٠٢٥ م

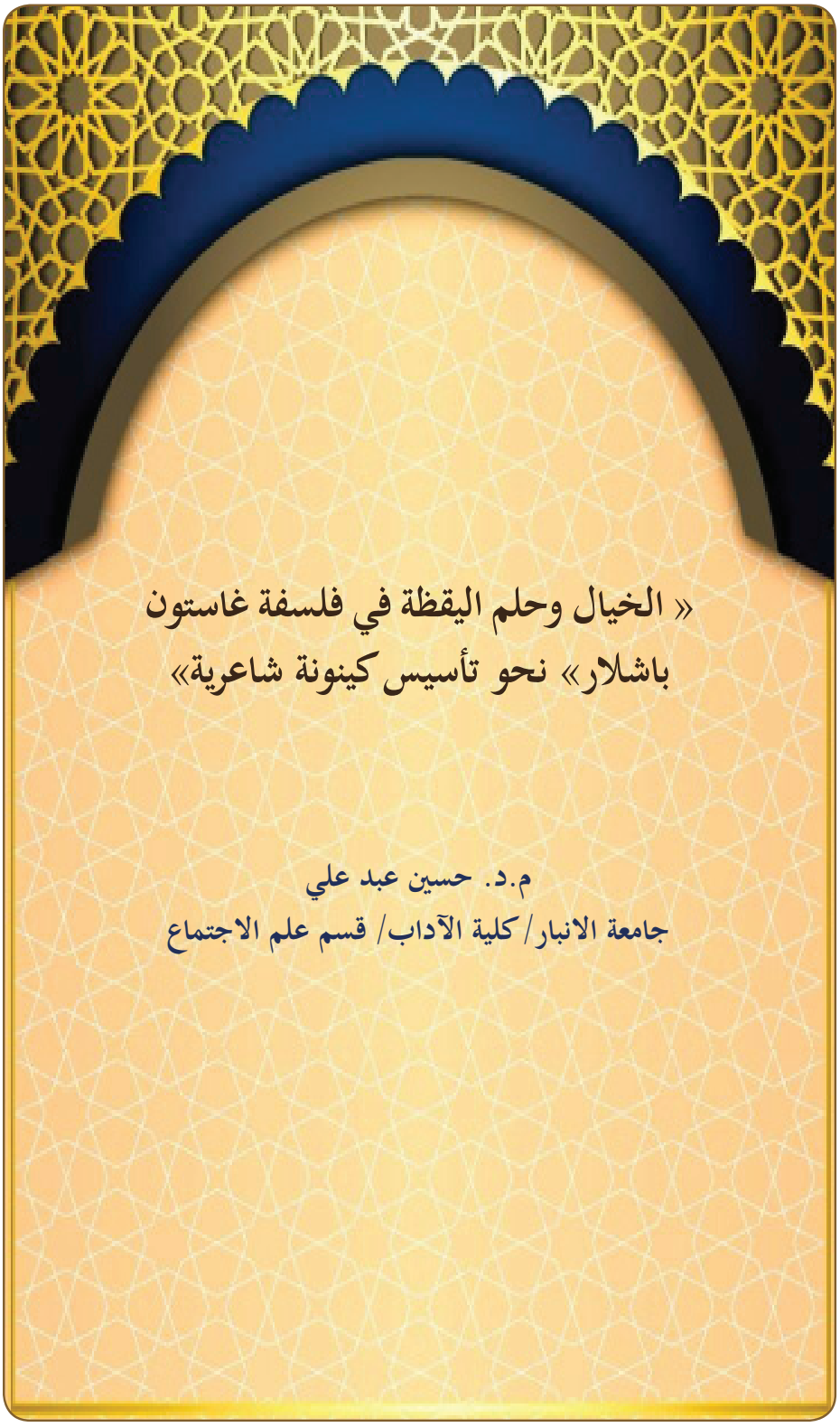

« الخيال وحلم اليقظة في فلسفة غاستون باشلار» نحو تأسيس كينونة شاعرية»

م.د. حسين عبد علي
جامعة الانبار/ كلية الآداب/ قسم علم الاجتماع

المستخلص:

ينطلق غاستون باشلار في مشروعه الفلسفي إعادة الاعتبار للخيال بوصفه قوة أنطولوجية تسبق الفكر، وتؤسس للمعرفة والشعر معاً. فالإنسان، في نظره، لا يفكر أولاً بل يحلم، والخيال ليس أداة لتمثيل الواقع بل وسيلة لخلقه. ومن هنا يحتل حلم اليقظة منزلة مركزية، إذ يُعبّر عن انفتاح الذات على العالم عبر وسيط الصورة الشعرية التي تتولّد من الروح المؤنثة الكامنة في الانسان. لكن هذا التفتّح لا يتحقق إلا في شرط الاندماج، إذ يندمج الحالم مع حلمه ويصير الحلم تعبيراً عن عمق الكائن.

يقسّم باشلار الخيال إلى ثلاثة أنماط: الخيال الصوري، الخيال الحركي، والخيال المادي، ويمنح هذا الأخير أهمية قصوى، لكونه يستنطق المادة بوصفها حاملة للرموز، والعواطف، والأنماط العريقة، التي تحرّك الذاكرة وتحفّز الخلق الشعري. كما ينظر إلى الزمن من زاوية مختلفة، إذ انه لا يُختبر بوصفه تسلسلاً خطيًا، بل كزمن عمودي يتكثف في لحظات حلمية وشعرية خارقة.

ويستند باشلار في فهمه للذاكرة والخيال إلى تصور كارل يونغ للأنماط الاصيلة، مؤكداً أن أنطولوجيا الذاكرة ليست مجرد استعادة للماضي، بل استحضار لأنماط رمزية تسكن اللاوعي الجمعي، وتُفعل عبر الصور والأحلام. بذلك تتكامل في فلسفته الذاكرة، الخيال، المادة، والزمن، لتؤسس رؤية شعرية للعالم، تنفتح فيها الذات على كثافة الوجود لا من خلال المفهوم، بل من خلال الصورة الحية التي يسكنها الحلم.

الكلمات المفتاحية: الخيال، باشلار، الظاهراتية، الحلم، اليقظة.

Abstract:

Gaston Bachelard›s philosophical project begins by reinstating the imagination as an ontological force that precedes thought and underpins both knowledge and poetry. For Bachelard, the human being does not think first, but rather dreams; imagination is not merely a tool to represent reality, but a means to create it. In this context, the daydream holds a central place, as it expresses the self's openness to the world through the poetic image, which emanates from the feminine soul dwelling within us. Yet, such openness can only be actualized under the condition of oneness, wherein the dreamer merges with the dream, and the dream becomes an expression of the depth of being.

Bachelard distinguishes three modes of imagination: formal imagination, dynamic imagination, and material imagination, the latter of which he privileges. Material imagination interrogates matter as a bearer of symbols, emotions, and archetypal forms that animate memory and catalyze poetic creation. Time, too, is reconfigured in Bachelard's vision—not as a linear succession, but as a vertical temporality, condensed in exceptional moments of dream and poetic intensity.

In his treatment of memory and imagination, Bachelard draws upon Jungian archetypes, asserting that the ontology of memory is not simply the recollection of the past, but a reactivation of symbolic patterns that reside in the collective unconscious and are animated through im-

ages and dreams. In this way, memory, imagination, matter, and time are woven together in his philosophy to construct a poetic vision of the world, wherein the self opens to the density of being—not through abstract concepts, but through the living image inhabited by dream.

Keywords:Bachelard, wakefulness, dream.

المقدمة:

يحتل الخيال مكانة جوهرية في المشروع الفلسفي لغاستون باشلار، لا بوصفه مجرد نشاط ذهني تجميلي أو ملحقاً بجهاز المعرفة العقلانية، بل باعتباره قوة كينونية مبدعة، تضطلع بإنتاج المعنى واستنطاق الوجود من خلال الصورة الشعرية وأحلام اليقظة. لقد تجاوز باشلار التصور الكلاسيكي للعقل بوصفه مرجعية وحيدة للفكر، وانتقل من العقلانية الإبستمولوجية الصارمة إلى انفتاح تأملي على ظاهراتيات الحلم والخيال، إذ يصبح الكائن الإنساني هو الحالم قبل أن يكون المفكر، والمُتخيّل قبل أن يكون العارف.

تتبوأ أحلام اليقظة منزلة محورية في فلسفة باشلار، إذ يرى فيها انبثاقاً للروح المؤنثة في الإنسان، وهي الروح التي تُنتج صوراً لا تأتي من الماضي كاستدعاءٍ للذاكرة فقط، بل من توتر الحضور والانفتاح على ما لم يتم اختباره. إن الصورة، بوصفها لحظة شعرية، لا تُقاس بمقياس المنطق أو البنية، بل تُعاش كتجربة وجدانية مكثفة، تُفجّر الطاقات الخفية للمادة والذات على حد سواء. فالحلم، كما يؤكد باشلار، لا يُعطى في الليل فقط بوصفه نشاطًا لاواعياً سلبياً، بل يتجلى أيضاً في يقظةٍ شاعرية خلاقة، يكون فيها الإنسان هو الكائن الذي يسكنه الحلم ويتكلم عبره الخيال.

ويُميز باشلار بين ثلاثة أنماط من الخيال: الخيال الصوري، والخيال الحركي، والخيال المادي، إذ يمنح هذا الأخير مكانة تفوق غيره، لما له من قدرة على استدعاء الأنماط العريقة الكامنة في المادة، وعلى إثارة الذاكرة العميقة بوساطة عناصر الطبيعة الأربعة. ومن خلال الخيال المادي، تصبح الصورة الشعرية لا مجرد نتاج للذهن، بل تجلّياً لكثافة المادة وحيويتها. ولهذا فإن الاندماج أو التماهي بين الحالم وحلمه، وهو الشرط الضروري لتفتّح الروح المؤنثة، يشكّل البنية التحتية لحلم اليقظة، ويمكن أن يُفهم مجازياً، كما يشير باشلار، ضمن معادلة وجودية تتجاوز البنية الكيميائية: (روح مؤنثة زائد اندماج او تماهي يعطينا حلم يقظة).

تأمل الزمن عند باشلار لا ينفصل عن هذا الأفق الوجودي، إذ لا يتعامل مع الزمن بوصفه ديمومة خطية كما في التصور البرغسوني، بل كزمن عمودي يتكثف في لحظات شعرية خاطفة تفتح الذات على كثافة الحضور. وعلى هذا الأساس، تتبدّى أنطولوجيا الذاكرة، كما يستلهمها باشلار من كارل يونغ، بوصفها احتشاداً لأنماط رمزية كونية تندرج في عمق اللاوعي الجمعي، وتتفعّل من خلال الخيال المادي في صلب التجربة الشعرية.

إن مشروع باشلار إذاً هو محاولة لإعادة تأسيس الكائن الشعري فينا، الكائن الذي لا يُدرك العالم من خلال المفاهيم أو التصنيفات، بل من خلال الصور، والأحلام، والعلاقة الحميمية بالمادة. ومن هنا، يصبح الخيال، لا العقل، هو الأفق الذي تتجلى فيه الذات والعالم، وتتكوّن فيه فلسفة قادرة على الإصغاء إلى نداءات الوجود الهامسة.

من الإدراك إلى الإمكان: جدل الخيال والوجود عند باشلار

يشكل التحول من العقلانية المعرفية إلى الخيال المادي في فلسفة غاستون باشلار* أحد أبرز المنعطفات الفكرية في القرن العشرين. ففي المرحلة الجمالية من مشروعه الفلسفي، لم يعد باشلار معنياً فقط ببنية المعرفة العلمية، بل اتجه نحو تأسيس أنطولوجيا للخيال تُعيد الاعتبار للصورة الشعرية كخبرة وجودية مفعمة بالحضور. وقد استند في هذا التحول إلى المنهج الظاهراتي، حيث تُفهم الصورة الشعرية لا كرمز محايد أو نتاج للذاكرة، بل كظاهرة تُبنى داخل الوعي المتلقي بوصفه فاعلًا ومتأملاً. وفي هذا السياق، تُمثل الصورة الشعرية في فلسفة باشلار امتداداً لمنهجه الظاهراتي، حيث لا تُفهم بوصفها مجرد نتاج لغوي أو انعكاس للواقع، بل كظاهرة يتشكل معناها في صميم علاقة الوعي بالعالم. فباشلار، يرى أن الصورة الشعرية تُولد من فعل الوعي ذاته، لا من تراكمات الذاكرة أو رمزية الماضي.

إنها تجلٍ مباشر للخيال المادي، تتجاوز التحليل النفسي والتفسير الرمزي لتغدو حدثا أنطولوجيا، يُفعّل علاقة الذات بالعالم عبر الحلم والتأمل. من هنا، تغدو الصورة الشعرية لحظة تكوُّن للمعنى، لا في العالم، بل في الذات المتلقية المنخرطة في فعل الخيال (الامام، ٢٠١٠، الصفحات ١٥٥-١٥٦).

ولفهم الصورة الشعرية على نحو فلسفي دقيق، لا بد من الانطلاق من ظاهرة الخيال بوصفها الأصل المؤسس لهذه الصورة. فالصورة الشعرية، في منظور باشلار، تُدرَك بوصفها انبثاقًا مباشراً من القلب والروح، فهي تجسّد لحظة وجودية خالصة، لا انعكاساً للعالم بل تكوُّناً للذات فيه. إنها لا تُفهم إلا من خلال وعي يُصغي للخيال كمصدر للمعنى، فتغدو الصورة حدثًا ظاهراتياً يكشف عن عمق الكينونة الإنسانية (باشلار، جماليات المكان، صفحة ١٨). فالصورة الشعرية عند باشلار عبارة عن تأملات وهذه التأملات متعددة وزائلة، وتظهر ثبوتيتها عندما يحلم حالم بالعالم، فنحن نحلم امام النار ويكتشف التخيل ان النار هي محرك العالم، نحن امام ينبوع، ويكتشف التخيل ان الماء هو دم الارض وان للأرض عمقاً حياً، وبذلك نتلقى بفضل الكونية صورة معينة من تجربة العالم (الصباغ، ٢٠١٠، صفحة ١٩٥).

تشكل التأملات الكونية في فكر باشلار لحظة اندماج الحالم بالعالم المتخيّل، إذ تمنح الصورة الشعرية الإحساس العميق بالسكن في كون خاص، كما لو أن الذات وجدت بيتها الحقيقي في عالم الخيال. فالصورة لا تكتفي بتمثيل جزء من الواقع، بل تُوهم بامتلاك الكل، إذ تهيمن على العالم من خلال دلالة واحدة تتسع لتشمل الوجود بأسره. ومن هنا، تُصبح الصورة مركزاً كونياً تُشعّ منه سعادة الحالم، الذي لا يعود منفصلًا عن الصورة، بل ساكناً في عالمها الذي يغمره بالمعنى والطمأنينة (باشلار، شاعرية احلام اليقظة، الصفحات ١٥١-١٥٣). يقيم غاستون باشلار ظاهراتيته بوصفها امتداداً أصيلاً لفلسفته المفتوحة وعقلانيته التطبيقية، معتبراً إياها تعبيراً عن خصوصيته الفكرية المميزة، أو ما يمكن تسميته بـ»الأصالة الباشلارية». ويُصرّح في هذا السياق قائلاً: « لقد اخترت الظاهراتية طريقاً ومنهجاً، آملاً أن أُعيد، من خلال رؤية جديدة، فحص الصور المحببة بكل أمانة. وهذا التصريح يكشف عن التزام باشلار بمنهج ظاهراتي ليس كأداة تحليلية فحسب، بل كخيار أنطولوجي ومعرفي يروم من خلاله مساءلة الصور والخيال وفقاً لبنية جديدة، تتجاوز التفسير التقليدي نحو تأويل يكشف عن عمق التجربة الشعرية والخيالية للإنسان (باشلار، شاعرية احلام اليقظة، صفحة ١٥٣).

وفي السياق ذاته، يُبيّن باشلار أن ما ينتجه الخيال بالاستناد إلى الأنماط العريقة والمتجذرة في أعماق الكيان الإنساني لا ينبع من استمرارية تاريخية جامدة، بل من تأصلٍ حيوي وفاعل. فالظاهراتية، كما يتبناها باشلار، تُبنى على مقاربة الصور الشعرية في كينونتها الآنية، بمعزلٍ عن أي ارتباط ماضوي أو مرجعية سابقة. إذ إنها تنطلق من قطيعة معرفية مع الوجود السابق للصورة، لتفتح أفاقاً جديدة لفهمها في لحظتها الحاضرة. ومن هذا المنظور، تُصبح الظاهراتية الباشلارية أداة لاستكشاف قابلية الخيال لاستقبال صور جديدة، تتشكّل لا من خلال تكرار الماضي، بل من خلال الحضور الفعلي والراهن للصورة، بما تحمله من طاقة تخيلية وخصوبة رمزية، تجعل من الخيال نفسه عنصراً فعالاً في إنتاج المعنى الشعري (الشعيبي، ١٩٩٩، صفحة ٦٧). وعند توظيف المنهج الظاهراتي في تحليل الصورة الشعرية، يظهر لنا ميل لا واعٍ نحو التحليل النفساني، كما لو أنه يُمارَس بشكل أوتوماتيكي. غير أن هذا المنهج، حين يُطبق بوعي صافٍ، يسمح بتجاوز التفضيلات المسبقة المتجذرة في الثقافة النفسية، ويحرر الذوق الأدبي من التحول إلى عادة، مُوجّهًا التأويل نحو الحضور الكينوني الخالص للصورة الشعرية (باشلار، شاعرية احلام اليقظة، صفحة ٧). مما يعني إن الوعي الظاهراتي، في صورته المثالية، كان من شأنه أن يُحررنا من تلك الاهتمامات الموروثة، التي تشكل تفضيلات أدبية مسبقة، والتي غالبا ما تُحوّل الذوق الجمالي إلى نمط داعياً إلى بناء فعل تأويلي جديد يتأسس على إنصات نقي وخالص لنداء الصورة الشعرية في لحظتها الكينونية، لا في أصداء ماضيها أو في ترسبات ذوقية مسبقة. لأن المنهج الظاهراتي يفرض استحضار وعيٍ كامل بكل ما يحرّك الصورة الشعرية أو يغيّر ملامحها، إذ إن قراءة الشعر تتطلب حضوراً ذهنياً خالصاً، لا تشوشه انشغالات خارجية. فعندما تتولد صورة شاعرية جديدة،

تكشف عن سذاجة أولية متيقظة، وهذه السذاجة، في صفائها، تمثل لحظة التلاقي الأصيلة مع القصيدة، بعيداً عن كل التأويلات المسبقة أو الخلفيات الذهنية المُشوّشة (باشلار، شاعرية احلام اليقظة، صفحة ٧). ولكن هذا لا يعني اننا يجب أن نصف الظاهرة أو الصورة الماثلة امامنا كما هي بل ان يبين الوصف قدرتنا على استعادة الدهشة الساذجة التي كنا نشعر بها حين ننظر الى الصورة أو الظاهرة لأول مرة. لذلك يقول باشلار: اننا حين نحلم، فنحن ظاهراتيون دون ان نعلم، كما اننا وبشكل غريزي نرى الاشكال الجمالية التي تثير الدهشة فينا، فالصورة تمتلك في بساطتها ما يعطينا انطباعاً يدعونا للدهشة التي تدعونا الى الحلم وتنشط خيالاتنا (باشلار، جماليات المكان، صفحة ١١).

يُوظف غاستون باشلار المنهج الظاهراتي في دراسته للخيال الشعري، لا بوصفه استرجاعاً لصور من الذاكرة أو انعكاساً لواقع خارجي، بل بوصفه انبثاقاً وجودياً لحظة حضوره في الوعي. فالخيال الشعري عنده فعل أصيل يصدر عن الروح والقلب، لا عن العقل أو التاريخ، ويكشف عن الوجود الإنساني في حالته الاولى. ولا يسعى باشلار إلى تأويل الصورة أو ردّها إلى أصولها، بل إلى الإنصات لتداعياتها الشعورية كما تتجلّى في التجربة الحيّة، أذ ان الصورة تُعاش ولا تُفهم، ويُصبح الخيال سبيلاً لكشف الذات في أعمق مستوياتهِ (Jacgues , ١٩٨٤, p. ٢٥٧).

أن الظاهراتية ترى ان افتقاد العلم للأسس الإنسانية وابعاد الوعي الإنساني يُمثل خطراً يهدد الحضارة، ومن خلال ذلك فهي تعمل على ان تشق طريقاً جديداً مختلفاً للعلم (الامام، ٢٠١٠، صفحة ١١٩). وبدأ باشلار بظاهراتية تتجاوز تتخطى ثنائية (الذات والموضوع)، مستبعداً بفعله هذا الاعتقاد بوجود تماثل في الهوية بين الذات التي تمثل الوعي الخالص، وبين الموضوع الذي يمثل الواقع. فهو لا يؤمن بوجود انفصال بين الذات والموضوع (الامام، ٢٠١٠، صفحة ١٢٠). فظاهراية باشلار لا تهمل العلاقات السببية التي تربط الاحداث في الطبيعة، وتحاول أن تتبعها في الطبيعة وفق عناصرها الاربعة، ومحاولة باشلار مزواجة القطب الخيالي والقطب اللاشعوري المرافقين للعملية الابداعية (باشلار، لهب شمعة، ٢٠٠٥، صفحة ١٥).

أن الفلسفة الظاهراتية تحاول قدر الامكان أن تتجاوز المثالية بتأكديها أن التفكير لن يقدر على امتلاك العالم تحت بصره، ولا يمكن استيعابه بشكل تام، فالتفكير الانساني لا يعدو كونه رؤية جزئية محدودة، فهي تدرس تمظهرات الكائن الماثل امام الوعي، وتستبعد كونه معطى مسبقاً، أو انه سابق للوعي.

تعد الظاهراتية الصوت الأكثر حضوراً وعمقاً في الفلسفة المعاصرة، إذ تتيح فهماً وجودياً للأشياء دون أن تنزلق إلى التشظيات المائعة التي اتّسمت بها مقاربات ما بعد الحداثة. ومن هذا المنطلق، فإن توظيف الفلسفة الظاهراتية في قراءة المنجز الشعري المعاصر لا يقتصر على وصف الظواهر النصيّة، بل يفتح أفقاً معرفياً غنياً بالأسئلة والافتراضات، ويتّسم بالتشعّب والتداخل، ويظل خاضعاً لاختلاف مداخل القراءة وتنوّع التجربة الجمالية والوجودية معا (غوردو، الصفحات ١٥-١٦).

لقد اختار باشلار الظاهراتية لا بوصفها منهجاً فلسفياً فحسب، بل كضوء داخلي يُعيد إليه الصور التي أحبّها، تلك التي استقرّت في ذاكرته بعمقٍ يجعل التخيّل امتداداً للتذكّر، والتذكّر صدىً لتخيّل لم يكتمل. ففي فضاء التأمل الشارد، تتوهج الصورة من جديد، لا كذكرى، بل ككائنٍ شعري ينبض في الآن. هكذا تصبح الظاهراتية في حضرة الشعر استدعاءً لأصالة الصورة الأولى، لا لشرحها أو تقييدها، بل للإنصات إلى ما تبوح به في لحظة انبثاقها. إن الصورة الشاعرية، في عمقها، ليست معنى يُفهم، بل نبضٌ يُحسّ، وطاقة تخيّلية خصبة، قادرة على أن تفتح في النفس نوافذ للدهشة، ومساحات للوجود لم تُعاش بعد (باشلار، شاعرية احلام اليقظة، صفحة ٦).

اما فيما بالنسبة لظاهراتية اهوسرل فقد اخذ منهما باشلار: الاداة المنهجية للوضع بين قوسين من ادعاء الموقف الطبيعي، وكذلك محاولة هوسرل التي تكشف نوعية الافعال ونوعية المكونات الخاصة بالوعي والتي من خلالها تتقوم لنا الواقعية الموضوعية، ومن جهة اخرى تتضح القيمة المعرفية للرد الظاهراتي، ومن وجهة نظر باشلار، ينبغي للحدس الواقعي الأول أن يُوضَع بين قوسين، لا على سبيل النفي، بل بغرض تعليق سطوته المباشرة على الفكر.

لكن من الذي يملك سلطة هذا التعليق؟ إن باشلار يرى أن العالِم والفيلسوف معًا هما من يُمارسان هذا الفعل الضروري، درءاً للوقوع في شرك الواقعية الساذجة، أو الانخداع ببداهات الحدس الأولي والتجربة العامة، التي طالما اعتبرها عائقًا معرفيًا يحجب إمكانات التطور العلمي والتأويل الفلسفي. فكما يعلّق هوسرل الحكم قصد النفاذ إلى جوهر الظاهرة، فإن باشلار يعلّق بداهة الحدس لا ليتخلّى عنها كليًا، بل ليعيد تشكيلها في ضوء فعل معرفي أعمق، لا يكتفي بما تُقدمه الحواس، بل يسعى إلى ما يتجاوز الظاهر نحو الخلاّق والمنتِج في الخيال والعلم على حدّ سواء. إنه تعليق لا يمسّ الوجود في كلّيته، بل يصيب تلك الطبقة الحاملة من المعرفة المألوفة التي تعوق انبثاق الوعي العلمي والشعري الحر (حسين، ٢٠١٨، صفحة ٢٨٦).

يؤكد باشلار أن ظاهراتية الصورة لا تكتفي بوصفها أو تحليلها، بل تدعونا إلى المساهمة الفاعلة في فعل التخيّل المبدع، إذ أن جوهر كل ظاهراتية يكمن في الإنصات إلى الوعي الحاضر المتوتر، ذلك الذي يتحرك على سطح الزمن لا بوصفه تتابعاً خطياً، بل كثافة حيّة تمنع خيانة الصورة عبر تثبيت صداها في الماضي أو تحويلها إلى ذكرى ميتة. إن الظاهراتي، وفقاً لباشلار، لا يُعيد قراءة الصورة فقط، بل يُعيد بعثها، ويُوقظها من سباتها، ويمنحها حياةً جديدة ضمن راهنٍ متوتر ومملوء بالدهشة. وهكذا، فإن كل لقاء بالصورة الشعرية هو ولادة متجددة، لأن معناها لا يُستنفد، بل يتجدد باستمرار في ضوء الحاضر الذي يعيشه القارئ أو المتلقي، الحاضر الذي لا يكرر الصورة، بل يُعيد خلقها من عمق التجربة (بوخليط، ٢٠١٢، صفحة ١٤٥).

يُميّز غاستون باشلار، في ضوء الفلسفة الظاهراتية، بين وعيين: وعي الروح ووعي العقل، منبها إلى ما تخفيه اللغة الفرنسية من التباس بينهما، على خلاف الألمانية التي تفصل بدقة بينهما. فوعي الروح، يكون أكثر استرخاء، وأقل قصدية، وأقرب إلى فضاء التخيّل الشعري، بينما وعي العقل يخطط ويهندس. وهكذا تتجلّى الصورة الشعرية كنبض روحي لا تسبقه نية ولا يُمهد له مشروع، إنها ومضة، لا بناء. وبين الإلهام العقلي والانفتاح الروحي، ينسج باشلار جدلية خلاقة، يرى فيها أن الشعر لا يُولد إلا من اتحاد الروح بالعقل، لكن بميلٍ واضح نحو الروح، إذ يستريح العقل وتستيقظ الصورة (الامام، ٢٠١٠، الصفحات ١٥٦-١٥٧).

يدعو غاستون باشلار الباحث الظاهراتي، في دراسته للصورة الشعرية، إلى اعتماد جملة من المبادئ المنهجية التي تضمن الإنصات النقي لانبثاق الصورة، دون تشويش تأويلي أو أحكام مسبقة. وعليه أولاً أن يتحلّى بالتواضع المعرفي، فلا يُثقل الصورة بتحليلات زائدة تنتزع منها لحظة التوهج الخالص، إذ إن كل إضافة تفسيرية متعجلة قد تُطفئ شرارة الخلق الكامنة فيها. ثانياً، يُطالَب الباحث الظاهراتي بأن يتجاوز وضعية الناقد الصارم وأستاذ المنطق المتعالي، فهذان، بصرامتهما وادعائهما الإحاطة، ينزلقان إلى الاستعلاء الذي يحجب جمالية التلقي. ثالثًا، أن يقرأ الظاهراتي بدافع المتعة الجمالية، لا السيطرة المفهومية، وأن يُعيد النظر في الصورة بعينٍ متأملة ممزوجة بالحماس دون كبرياء. وأخيراً، أن يعمد إلى عزل الصورة وفرزها عن سياقاتها الأخرى، ليمنحها فرصة الانكشاف في ذاتها، بوصفها كياناً شعرياً مستقلاً، لا شظية في نسق أو انعكاساً لمقصد خارجي. وبذلك تعود الظاهراتية الى دراسة نموذج الصورة (الشعرية مثلاً) بشكل يعلو قليلا عًلى لغة التواصل أو الدلالة العادية، وعلى اساس اننا نتعايش مع الصورة فإننا نتعايش مع تجربة الانبثاق كظاهرة الحرية (الشعيبي، ١٩٩٩، صفحة ٧٠). وان الانسان ليصل الى اكتمال الصورة الشعرية ومن اجل فهم حقيقة العالم المادي يجب لـ (موانع العلم وتعقلات الفلسفة) التخلي عن المادية البرانية لصالح المادية الحميمية، وان يكون الظاهراتي حالماً (بوخليط، ٢٠١٢، صفحة ١١٤).

الخيال والتأمل الوجودي: باشلار وبناء العالم من الداخل

يُعرّف الخيال بوصفه ملكة ذهنية قادرة على توليد الصور والتمثّلات، وهو في هذا الإطار يُشار إليه بما يُعرف بـ «الخيال النسخي» أو «الذاكرة المتخيَّلة»، مما يدل على أن الخيال، في جانب من جوانبه، يُمارس فعله ضمن حدود ما هو مُستعاد أو مُعاد تشكيله من تجارب سابقة. فالصور التي يُنتجها الخيال في هذا السياق ليست مبتدعة من عدم، بل تستند إلى أصل إدراكي سابق، يُعاد بناؤه بصورة مرنة وغير حرفية، وهو ما يُضفي على الذاكرة طابعاً

تخييلياً (لالاند، صفحة ٦٢٠).

ويُفهم الخيال أيضاً بوصفه ملكة تركيبية تتجاوز مجرد الاستدعاء، لتُبدع صوراً وتوليفات جديدة لا تُحاكي الواقع كما هو، بل تُحاكيه من حيث البنية أو الترتيب، دون أن ترتبط بضرورة وجودية أو واقعية. وفي هذا المعنى، يُطلق على الخيال وصف (الخيال الخلّاق)، نظراً لقدرته على إنتاج تصوّرات فنية أو رؤى حلمية تُحاكي الظواهر الطبيعية أو الوجودية، دون أن تكون انعكاساً مباشراً لها. وبهذا المعنى، يتجلى الخيال كقوة إبداعية تتوسّط بين الإدراك الحسي والتجريد العقلي، وتُتيح للذات الإنسانية إمكان تخطّي حدود الواقع نحو إمكانات بديلة للوجود والتفكير (لالاند، صفحة ٦٢٠).

قبل الشروع في تمييز أنماط الخيال، يظهر لنا تساؤل جوهري وهو: كيف توصّل الفلاسفة إلى تلك التصورات والأنساق الفلسفية ذات الطابع العالي من التجريد حول العالم والكون والإنسان؟ إن الجواب يكمن في ما يمكن تسميته بـ الخيال الفلسفي، ذاك الذي لا يقتصر على التصوّر أو الاستدعاء، بل يتجاوزهما نحو التأمل العميق والتحليق الفكري، إذ تتداخل ملكة الخيال مع القدرة على الاختراق المفهومي والتجريد. فالخيال الفلسفي يمارس فعله في تفكيك بنية الحياة، والنفاذ إلى أعماق النفس والتاريخ والفن، ثم إعادة تركيب تلك العناصر ضمن نسق فكري متماسك يتسم بالشمول والاتساق. وبهذا المعنى، لا يكون الخيال أداة تجميلية أو انفعالية، بل قوة معرفية تُسهم في صياغة الرؤية الفلسفية ذاتها (عبد الحميد، ٢٠٠٩، صفحة ٦٦).

آما بالنسبة للخيال في فلسفة باشلار، فهو يأخذ منزلة مغايرة تماماً للتصور التقليدي الذي يربطه بالمحاكاة أو الاستدعاء السلبي للصور. فهو لا يُعد ملَكة ثانوية أو تابعة، بل هو قدرة خلاقة يُمارس فيها العقل قدرته على تخطي الواقع. كما إنه ليس انفعالاً ذهنياً أمام الواقع، بل فعل تأسيسي يتجاوز المعطى الواقعي صوب إمكانات جديدة للمعرفة والتصوّر. وبذلك يُغدو الخيال عند باشلار شكلاً من أشكال الحرية المعرفية، وقوة توليدية تُعيد تشكيل العالم لا بوصفه واقعاً ناجزاً، بل كمجال مفتوح للتأويل والتخيل. إنه الطاقة التي تجعل من المعرفة البشرية مشروعاً متجدداً، خصباً، ومفتوحاً على المستقبل (Edwaed k, ٢٠٠٣, p. ٣٢).

ان الخيال في منظور الشعراء والفلاسفة، وبخاصة عند باشلار، لا يعد مجرّد ملَكة نفسية أو طاقة تصويرية، بل هو مبدأ أنطولوجي يتأسس فيه الفكر والوجود معًا. فالخيال الإبداعي لا يُفسَّر بوصفه انعكاساً للواقع، بل بوصفه قوة مولّدة للكائن، تكشف عن إمكانات الوجود عبر الصورة الشعرية. ولهذا يؤكّد باشلار، منذ التحليل النفسي للنار وحتى آخر مؤلفاته، على البعد الأنطولوجي للخيال، ليس باعتباره أداة تمثيل، بل فاعلية تأسيس تنحت المعنى من الداخل، وتمنح الوجود كثافته الشعرية.

إن الخيال على خلاف العقل، يرى ما لا يُدركه الفكر المفهومي، فهو يتجاوز حدود البرهان والتعيين، نحو الإمكان والتكثيف. فالخيال الذي يُعيد الإنتاج لا يُعدّ خيالًا منتجاً، بل مجرد نشر مشتق من الخلق الأصلي. وقد عبّر باشلار عن ذلك بقوله: الخيال لا يستطيع أن يقول أبداً: هذا لم يكن ذاك، ومع ذلك يوجد أكثر من ذاك، مما يعني أن صور الخيال لا تخضع لمقاييس الفحص الواقعي أو منطق المطابقة، بل تنتمي إلى حقل الكثافة الرمزية، إذ أن الإمكان يتجاوز الوقائع، والمعنى لا يُختزل في ما هو حادث، بل فيما يمكن أن يكون (الامام، ٢٠١٠، صفحة ٢٥٠).

ويرى باشلار ان التخيل ملكة إبداعية للعقل، كمقابل للصدور البسيط عن الادراك، وانه ليس مجرد ملكة لصياغة الصور، بل هو ملكة لتحريرنا من الصور الأولى (اي الماثلة في الادراك). والخيال عنده اشبه بعملية دينامية منظمة للنفس البشرية وبعنصر تنسيق للتصورات العقلية لا يمكنهما بأن يكونا بأي حال من الاحوال انعكاساً لعملية أو وظيفة بدائية من وظائف العقل (الصباغ، مدخل لعلم الجمال، ٢٠١٠، صفحة ١٩٣).

في كتابه شاعرية أحلام اليقظة، يرسم باشلار ملامح «الكوجيتو الحالم» بوصفه ذاتاً تتكوَّن عبر انخطاف الصورة في عمق الكينونة المتخيلة، إذ تتمظهر صورة فجائية من رحم التأمل الشارد، فتتركز في قلب الوعي وتمنحه كثافة وجودية. هذه الصورة لا تعكس الواقع، بل تمثّله في جوهره، فتغدو رمزاً محسوساً لعالم بأكمله. وهي تمثل نقطة ارتكاز

لاذعة، تخرق الحالم، وتوقظ فيه تأمّلاً صافياً ينشطر بين كينونة الصورة ودهشة الانتماء إليها. وفي هذا السياق، لا يعود الكائن الحالم مستغرقًا في ذاته فقط، بل منفتحاً على تعددية شعرية للكينونة، إذ يغدو الشيء البسيط مثل زهرة، ثمرة، أو عنصر مألوف مجالاً لانبعاث الدهشة. فليس كل شيء صالحًا لأن يُصبح موضوعًا لتأمل شعري، إنما حين يتم اختياره بعين الشاعر، فيتحوّل، يورتقي، ويستحيل إلى كينونة شاعرية. هكذا لا تُحدِّد الأشياء قيمتها بذاتها، بل بما تُثيره من صدى داخلي، ومن انفعالات حلمية تتكثف في لحظة استبطان وجودي (باشلار، شاعرية احلام اليقظة، الصفحات ١٣٣-١٣٤).

باشلار وجماليات الخيال: من العلة الصورية إلى عمق المادة

يقدم باشلار تصنيفاً منهجيا لأنماط الخيال الشعري، مؤسساً إياها على ثلاثة مستويات رئيسية: الخيال الشكلي (الصوري)، والخيال المادي، والخيال الدينامي أو الحركي. ويُعدّ الخيال الشكلي محور اهتمامه، إذ يميّزه بوضوح عن الخيال المادي، ويشرح ذلك في الماء والأحلام، حيث يؤكد على أن القوى المتخيلة في ذاتنا تتطور على محورين مختلفين تمامًا: خيال يقدم الحياة للسبب الشكلي ، وآخر يهب الحياة للسبب المادي (Robert , ١٩٧٢, p. ١٨٧).

وينظر باشلار إلى الخيال الشكلي والمادي كفاعلين أساسيين في الطبيعة الإنسانية، إذ يربط نشاط الخيال بعلاقة سببية متبادلة بين العلة الصورية والعلة المادية. ففي الرصد الظاهراتي، تتفاعل الذاتية وهي الصور المتكونة في الذهن، مع الموضوعية وهي الوضع المادي الخارجي لتلك الصور. وهكذا، يتجلى معطيان أساسيان: معطى الظاهر، ومعطى الموضوع، غير أن الموضوع هنا لا يكون محايثاً بالمعنى التقليدي للمصطلح (هوسرل، ٢٠٠٧، صفحة ٤١).

يعطي باشلار الخيال المادي قيمة أسمى من الخيال الشكلي، معتبراً أن الصورة المادية هي «الجمال الأليف» الذي يكشف عنه الخيال المادي الذي يغوص في جوهر الأشياء، ويعيد إحياءها وتجديدها. فالخيال المادي، وفقاً له، حياة كونية تُضفي طابعًا دراماياً عميقاً على العالم، حيث يجد في جوهر الصورة الطبيعية كل رموز الحياة الإنسانية الداخلية (الامام، ٢٠١٠، الصفحات ٢٥٣-٢٥٦). لا بل اكثر عمقاً وحيوية اذ انه ينفذ إلى احساسنا، بالالفة. ويقول باشلار ان حياة الخيال هي حياة كونية فالخيال بنظره يضفي الطابع الدرامي على العالم في العمق، إذ يجد في عمق الجواهر الصورة الطبيعية، أو الصورة الأولية، التي تمثل تجسيداً رمزياً أصولياً لمعنى الحياة الإنسانية في أبعادها الأليفة والوجدانية. (الامام، ٢٠١٠، صفحة ٢٥٦)

وحسب رأي باشلار ينقسم تطور القوى المتخيلة في الذهن إلى محورين متناقضين: محور يلهث وراء الجدة والفتنة والحدث غير المتوقع، وآخر ينقب في أعماق الكون بحثاً عن والسرمدي. ويُوجز باشلار هذا التمايز في نمطين من الخيال: خيال يبدع العلة الصورية، وآخر يبدع العلة المادية (باشلار، الماء والاحلام، ٢٠٠٧، الصفحات ١٣-١٤).

ويصف باشلار الخيال المادي بأنه (خيال الامتلاء الهادئ)، الذي يحتضن الذات بكثافة، خيال الراحة والتأمل الداخلي. أما الخيال الصوري فهو مرتبط بشعور قبلي داخلي للفرد، وعلى الرغم من اهتمام الفلسفة التقليدية بالخيال الصوري، فقد أولى باشلار اهتماماً خاصاً بالخيال المادي، معتبراً أن للخيال صورة مباشرة للمادة، نحن نحلم بصورة المادة هذه على نحو جوهري وحميم (باشلار، الماء والاحلام، ٢٠٠٧، صفحة ١٤)

يرتبط الخيال المادي عند باشلار بعناصر الماء والتراب، بينما يُنسب الخيال التحريكي إلى الهواء، مع تجنّب ربط النار بنمط خيالي معين، رغم التداخل بين الخيال المادي والتحريكي في صور طبيعية كالدوامات والأعاصير. (الشعيبي، ١٩٩٩، صفحة ٣٦).

لا تقتصر فلسفة باشلار الجمالية على تصنيف أنماط الخيال فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى ربط إنتاج الخيال بمكونات مادية جوهرية، إذ أنه يؤكد على ضرورة أن تحمل كل صورة شعرية جوهراً مادياً، وأن تبقى مادة حلم

اليقظة متماسكة داخل العمل الإبداعي، فلا تكون فراغاً عابراً، بل استمراراً في تحقيق مادتها. فلكي يكون لدينا مذهب شامل للخيال البشري، علينا دراسة الأشكال وتدعيمها بمادتها الصحيحة، حيث تصبح الصورة نبتة تنمو في أرض وسماء، ماهية وشكل معاً (باشلار، الماء والاحلام، ٢٠٠٧، الصفحات ١٥-١٦).

باشلار وجماليات التأمل: في امتزاج الذاكرة والخيال والأنوثة الكونية

يؤسس غاستون باشلار مشروعه الفلسفي في تأويل الخيال على لحظة قبلية تتجاوز الإدراك الواعي، قوامها ما يسميه بـ(علم نفس المشاعر الجميلة) إذ يتقدّم الحلمُ التأملَ بوصفه استهلالاً للمعنى الجمالي، لا نتيجةً له. فالمنظر، في تمثّله الجمالي، لا يُدرَك بوصفه موضوعاً بصرياً محايداً، بل كـ تجربة حلمية أولى، يتكشّف فيها الحسيّ من خلال خيالٍ يسكن المادة ويُشبعها بالصور (عويز، ٢٠١٧، صفحة ٣٩).

إنّ الصور الشعرية المتولدة من أحلام اليقظة لا تستند إلى بنى رمزية مجردة، بل تتجذر في المادة الطبيعية: النار، الماء، الهواء، والتراب، وتعيد وصل الحاضر بالذاكرة، والخيال بالمعيش، في ما يشبه «مشاهدة ثانية» للعالم. بهذا، يغدو التحليل الجمالي عند باشلار مسعى أنطولوجياً لإعادة تشييد الإنسان عبر صور داخلية متخيلة، تستبطن الطفولة، والمعتقد، إذ أن الجماليات لا تُدرك بالعقل المجرد وحده، بل عبر تواطؤ خفي بين القلب والعقل، بين الحواس والروح (باشلار، الماء والاحلام، ٢٠٠٧، صفحة ١٨).

ويربط باشلار بين الذاكرة والخيال بوصفهما قوتين متداخلتين، يعمل خيال المتلقي فيهماكذاكرة مبدعة تستحضر لا ماكان فحسب، بل ماكان على نحو جديد، فيتمثل التذكر كفعل إبداعي لاكإعادة تكرار، إذ تولد الصور الشعرية من صدمة جمالية توقظ في الذات استيهامات الطفولة، فيغدو التذكر توليداً لا استرجاعاً (عويز، ٢٠١٧، صفحة ٤١). فعند باشلار ترتبط الذاكرة بالخيال سواء على مستوى الخبرة الإبداعية أو خبرة التذوق الجمالي، على اساس ان خيال المتلقي يعمل بوصفه ذاكرة لكي يستطيع ان يتابع الصورة الشعرية، فضلاً عن ان الصورة الشعرية بوصفها صورة متخيلة، تجعل المتلقي قادراً على استحضار الصورة المتخيلة لذكريات طفولته الخاصة، فالتذكر عند باشلار اكثر من مجرد استحضار لصورة شيء ما، فهو اكثر من مجرد ادراك للشيء، بمعنى انه يحضر في لحظة مغايرة عن لحظة الخبرة به في الماضي (الامام، ٢٠١٠، صفحة ٢٧٦). وفي هذا الإطار، يشكّل حلم اليقظة الجسر الأنطولوجي بين الذاكرة والخيال ، إذ تأتي الصور من الذاكرة الفردية، لتعيد تركيب العالم الداخلي للذات بصيغة شعرية. ومن هنا يفرّق باشلار بين الحلم الليلي بوصفه نشاطاً لا إرادياً وسلبياً، تنعدم فيه فاعلية الكوجيتو، وبين حلم اليقظة بوصفه حلم الذات ذاتها، حلماً واعياً، مؤنسناً، يحمل إمضاء فاعل حالم يقول: أنا أحلم (باشلار، شاعرية احلام اليقظة، صفحة ٢٢).

أن هذا التمييز بين الحلمين يتخذ أبعادا رمزية – نفسية، حيث يُحيل الحلم الليلي إلى الذكورة السلبية، المشغولة بالمشروع والهمّ، فيما يُحيل حلم اليقظة إلى الأنوثة الحاضنة، بما هي طاقة تأمل وسكون واسترسال شعري. غير أن باشلار، في ضوء فهمه التحليلي الوجودي، يرفض كل ثنائية حادة بين الجنسين، مؤكداً أن كل ذات إنسانية تحتوي في بنيتها على الروحين: المذكرة والمؤنثة، وأن تكامل هاتين الطاقتين هو ما يُنتج فعل الخلق الجمالي في حلم اليقظة (الشعيبي، ١٩٩٩، صفحة ٨٨). وهكذا، يغدو حلم اليقظة لدى باشلار مقاماً وجودياً خلاقاً، تُعاد فيه صياغة الذات من خلال الصور، لا المفاهيم، ومن خلال المتخيل، لا الواقعي، ومن خلال العمق الأنثوي للروح، لا سطحية المشروعات الذكورية. إنه حلم لا يولد إلا في فضاء الاسترسال الشعري، حيث تُولّد الصور من الصور، ويمتد الخيال في تداعياته إلى ما لا نهاية، كما لو أن الفيلسوف، بحسب تعبيره، ضائعٌ في أحلامه، لكنه يخلق منها كوناً جمالياً جديداً.

إن الحلم بالنسبة لباشلار، يُعد ممارسة لافاعلة، أو نشاطاً لا يستدعي حضور ذاتٍ واعية، إذ يُحيل إلى بنية ذكورية تمثل انشغالاً بالمشروع والهمّ والافتقار إلى التخييل الذاتي. وفي المقابل، يتخذ حلم اليقظة، باعتباره تجربة تأملية وذاتية، بعدًا أنثويًا يتجسد في انفتاح الذات على الصور الخيالية وتلقيها في لحظة هدوء شعوري. وفي هذا السياق،

يستثمر باشلار مفاهيم علم نفس الأعماق، ولا سيما ثنائية الأنيموس (الروح الذكورية) والأنّيما (الروح الأنثوية)، ليؤكد أن حلم اليقظة، سواء عند الرجل أو المرأة، يُعد مظهرًا لد أنّيما، أي لتلك الطاقة الأنثوية التي تُنتج الصور وتستبطنها بوصفها تمظهراً شعرياً للحضور الذاتي (بوخليط، ٢٠١٢، صفحة ١٥٣).

يرى باشلار ان الذات الإنسانية في الحلم الليلي، تفقد حضورها الواعي وتتلاشى في تيار اللاوعي، إذ يغيب الكوجيتو ويتبدد الفعل، فلا تعود الذات فاعلاً بل مجالاً لانسياب الصور والفوضى. النوم إذاً راحة للجسد، لكنها لا تمثل راحة للروح التي تظل في اضطراب داخلي لا يهدئه السكون. في المقابل، يمنح حلم اليقظة راحة واعية، حتى وإن تجلّت في شكل حزن شفاف، إذ هو حزن يحقق تكاملاً داخليًا، ويفتح للذات فضاءً من الانفتاح الخيالي، حيث يكفي شرود خيالي واحد ليعمّ الحلم الكون (باشلار، شاعرية احلام اليقظة، صفحة ٥٩).

يربط باشلار بين لحظة تكوّن الكوجيتو الحالم ولحظة استقبال الصور، إذ تتولد الذات الواعية من خلال إعجابها وتأثرها بهذه الصور التي تثير خيالها. في هذه اللحظة الانبثاقية، ينبثق الكوجيتو الخاص بالذات، ويتجدد باستمرار عبر توالد الصور الجديدة الناجمة عن تفاعل الإعجاب والتخيل. وهكذا تستمر عملية الخلق في حركة دائمة طالما بقيت هناك إثارة للخيال واستجابة عاطفية. وتلك الحالوميات، كما يشير باشلار، تمتد إلى آفاق بعيدة تتجاوز حدود التجربة العادية، لكنها لا يمكن أن تولد إلا في ذهن فيلسوف تائه في أحلامه، حيث يتحقق الإبداع في حالة من الضياع التأملي التي تفتح آفاقاً جديدة للوعي والخلق (باشلار، شعلة قنديل، ١٩٩٥، صفحة ٥١).

ان حلم اليقظة العميق لا يولد سوى من الروح المؤنثة، تلك الروح التي تحتضن شاعرية الصور السعيدة وتُغذي خيال الإنسان، رجلاًكان أم امرأة، فتسود في هذا العمق الراحة الأنثوية، هبوطاً بلا سقوط في منحدر الحلم. إذْ لا تحلم المرأة أحلام يقظتها بروح مذكرة، فالروح المذكرة عند باشلار ترتبط بالهموم والمشروعات التي تُبعد الذات عن حضورها الحقيقي، بينما الروح المؤنثة تحيي تلك الصور الحالمة. وفي هذا التمازج التكاملي تتجلى فلسفة باشلار الشعرية: امتزاج الروحين، المذكرة والمؤنثة، في تجاذب دائم، هو ما يصنع حلم اليقظة النقي، المفعم بالصور. لذا يرفض الجدل العكسي الذي يفرق بين رجل يحلم بروح مؤنثة وامرأة بروح مذكرة، مؤكداً أن كل إنسان يحوي في ذاته الروحين، في وحدة مركبة تولد من خلالها التجربة الحالمة. وبهذا التصور، يصبح حلم اليقظة فعلًا روحياً يتجاوز الثنائية، ويرسخ رؤية وجودية متكاملة للذات البشرية (الشعيبي، ١٩٩٩، الصفحات ١١٩-١٢٠).

الذاكرة العميقة للخيال: باشلار وكارل يونغ في أفق الحلم التأملي

يرى باشلار أن حلم اليقظة تقوية لذاكرة الخيال، لا بوصفها تذكّراً سطحياً، بل كعودة إلى نمط أصلي، عريق، مستقر تحت الذاكرة. إنه خيال يتجذر في اللاوعي النفسي، متأثراً بكارل يونغ، إذ يصبح الحلم يقظة داخلية للصورة الأولى، لا كتمثيل بل كجوهر. ان نظرية يونغ التي تأثر بها باشلار ترى بأن الحياة النفسية تتكون قبل الولادة، فالموجود الإنساني يحوز على كثير من الاشياء التي لم يكتسبها ابدأ بنفسه، ولكنه ورثها من جدوده القدماء فالإنسان يحمل عند ولادته مخطط وجوده الاساسي، لا مخطط طبيعته الفردية فحسب، بل ومخطط طبيعته الجمعية ايضاً. النمط العريق او النموذج البدئي، مستفاد من الملاحظة المتكررة لما تشتمل عليه الاساطير من موضوعات محددة رئيسية شائعة في كل مكان... ان النماذج البدئية لا تحدد بمضمونها بل بأشكالها. وشكل النماذج البدئية اشبه بالنظام المحوري في العدسة السداسية والذي يتولى صنع البنية البلورية في السائل الام، بالرغم من انه لا وجود مادياً له بذاته، فالنموذج البدئي قالب اجوف بحد ذاته وشكلي صرف، وما هو الا إمكانية تمثيل متاحة قبلياً. والتمثيلات ذاتها غير وراثية، انما الوراثي اشكالها فقط (يونغ، ١٩٩٥، صفحة ٢٤٤)

يوظف باشلار مفهوم الأنماط العريقة بطريقة تأويلية، لا علاجية كما يفعل يونغ، إذ يستحضر الانماط العريقة في أفق حلمي، خيالي يُفضي إلى ما يسميه بالانبثاق الخيالي، ذلك التجلّي الذي ينبع من أعماق الصورة الشعرية. وهو في سعيه لتأصيل هذا الخيال، لا ينفصل عن العناصر الأربعة الكبرى: الهواء، الماء، التراب، والنار، بوصفها وقائع وجودية تشكّل البنية التحتية لأحلام الإنسان وفاعلياته الرمزية الأولى، ما يستدعي إعادة بحث

منهجي في حضورها داخل المخيال الإنساني البدائي (باشلار، التحليل النفسي للنار، صفحة ٣٣).

يرى باشلار أن الإنسان يحمل في ذاته الثنائية الجوهرية بين المذكر والمؤنث، دون أن يكتنف ذلك أي تناقض جوهري. فالخيال، وخصوصًا في حالة حلم اليقظة، يتجسد في الروح المؤنثة التي تتيح تفتحًا على عوالم داخلية غنية ومتعددة الأبعاد. ومن جانب آخر، يؤكد باشلار أن السيماء (الهيمنة أو العلامة الظاهرة) تمثل إثارة لأنماط عريقة، حيث تختلط الروح المذكرة بالروح المؤنثة في تداخل يعزز تجربة الوعي والذات. وأن أحلام اليقظة في كونيّتها تؤسس رابطًا حيوياً بين الحالم وعالمه، فهي ليست مجرد هروب من الواقع، بل استعادة حقيقية للروح في أعماق النفس الأصلية. بهذا المعنى، يشكل حلم اليقظة حالة راحة وهناء للكائن، إذ يغوص الحالم وحلمه معاً في جوهر السعادة الأصيلة. إنها حالة انفتاح على عوالم جمالية، تعطي للذات نوعاً متفرداً من الوجود، يسمح بالعيش بثقة ويمنح الإحساس بالتماهي التام مع العالم. وبذلك، يتضح أن حلم اليقظة يحمل عمقًا وجوديًا يتمثل في كونه تجلٍّ للروح المؤنثة الكامنة في الذات. غير أن بروز هذه الروح المؤنثة كحلم يقظة لا يتم بمعزل عن حالة الاندماج أو الانصهار الكلي بين الحالم ومحتوى حلمه. يمكن تشبيه هذه العملية، مجازيًا، بمعادلة كيميائية حيث تتفاعل الروح المؤنثة مع الاندماج فتنتج حالة حلم اليقظة: فإلى جانب الروح المؤنثة توحد ينتج لنا حلم اليقظة. وهذا الاندماج هو الشرط الضروري لتمكين حلم اليقظة من الانبثاق كحالة تأملية عميقة تنقل الكائن إلى حالة من السكينة والهناء، حيث تتداخل الذات وحلمها في وحدة متكاملة تعبر عن أسمى تجليات الروح الإنسانية. (الشعيبي، ١٩٩٩، صفحة ٩٥).

باشلار وبرغسون: بين تدفق الديمومة وانفجار اللحظة

أن التأمل في الزمان، بحسب باشلار، يعد نقطة الانطلاق الأساسية لكل ميتافيزيقا ممكنة، إذ يشكّل هذا التأمل مدخلاً ضرورياً لفهم بنية المعرفة وحدودها، كما يُسهم بصورة جذرية في الكشف عن آليات الخلق الأدبي وتجلياته. فالزمان، في تصور باشلار، لا يُفهم بوصفه امتداداً متصلاً أو تياراً مستمراً، بل يتأسس على حدس «اللحظة»، بما هي انقطاع وفصل، لا تواصل ودوام. وعليه، تتجلى حقيقة الزمان، لا في استمراريته، بل في لحظاته المفصولة والمتجددة دوماً، حيث تصبح (الآن) لحظة الخلق والتجلي (برغسون، ١٩٨١، صفحة ١٠).

يقف باشلار موقفاً نقدياً من تصور هنري برغسون للزمان، والذي يتمثل في مفهوم «الديمومة. فالديمومة، عند برغسون، هي تجربة زمنية داخلية تُدرك حدسياً، وتتميّز بالاتصال والاستمرارية، لا بالتجزؤ أو التقطع. إنها ليست مجرد تسلسل من اللحظات التي تحلّ الواحدة منها محل الأخرى، بل هي تدفق غير قابل للتقسيم إلى آنات منفصلة. من هذا المنظور، فإن الزمان النفسي، عند برغسون، لا يُختزل إلى سلسلة من اللحظات المتتابعة، بل يُنظر إليه ككلّ حيّ ومتماسك، يعبر عن الامتداد الداخلي للوعي. كما ان التعارض بين باشلار وبرغسون لا يقتصر على البنية المفهومية للزمان، بل يمتد إلى الأفق المعرفي الذي يترتب على كلٍّ من التصورين، إذ يمثل حدس اللحظة عند باشلار أساساً لفهم المعرفة بوصفها قفزات إبداعية، بينما تنبني المعرفة عند برغسون على استمرارية التجربة وتراكمها (برغسون، ١٩٨١، صفحة ١٠).

يدعم باشلار رفضه لرأي هنري برغسون بقوله: ان من واجبنا ان نمنح اللحظة الى جانب الديمومة وجوداً حاسماً وهذا هو معنى الزمان العمودي، والذي اعتمده باشلار في فلسفته العلمية، وفلسفته في المتخيل، إذ يصف باشلار فلسفته في المتخيل بأنها مدخل الى فلسفة الراحة ولكن هي ليست فلسفة لكل راحة، فليس بمستطاع الفلسفة ان تسعى وراء الطمأنينة، انها تحتاج الى براهين لكي تسلم بالراحة بوصفها حقاً من حقوق الفكر (باشلار، جدلية الزمن، صفحة ٥).

أنّ الخلفية العلمية لغاستون باشلار كفيزيائي ورياضي قد عمّقت من رؤيته الفلسفية، وأثّرت جذرياً في تشكيل خياله المفهومي. فالزمن، في نظره، ليس وحدة ثابتة أو خطاً متصلاً، بل هو فضاء دينامي يتشظّى بين أزمنة مفقودة وصور لحظية، أقرب إلى (الزمن المعدوم) منه إلى الاستمرارية البرغسونية. ومن هذا المنطلق، يصيغ باشلار مفهوماً

مغايراً للزمن من خلال ما يسميه بـ(الزمن العمودي) وهو الزمن الذي لا يسير أفقياً في خط التكرار والعادة، بل يندفع في خط صاعد نحو اللانهائي، وهو يمثل الفكر المتسامي والمتأمل. في هذا التصور، يغدو المحور الأفقي تمثيلاً للاندفاع الغريزي، للحركة السطحية التي تطارد الظواهر دون وعي، ودون عمق، بما هي حركة فاقدة للمعنى، مشوبة بالنقص، لأنها لا تتوقف لتفكر. أما المحور العمودي، فهو لحظة وعي تقطع الاسترسال، لحظة تفكرية تقف على تخوم الكينونة، وتعيد توجيه الزمن من الامتداد نحو الارتقاء. إنه المحور الذي لا يكتفي بتلقي العالم، بل يصعد في تأمل جمالي، كأنّ الفكر فيه يتجسد كصعود نحو الحقيقة، ونحو الجمال في آن. هكذا، تتجسد فلسفة الزمن عند باشلار في جدلية بين الاستغراق والانفصال، بين الغريزة والفكر، بين الأفقي والعامودي، ليؤسّس من خلالها رؤية أنطولوجية للزمن بوصفه تجربة إبداعية لا تُستنفد في لحظة، بل تُخلق فيها (الشعيبي، ١٩٩٩، صفحة ٣٢).

يسعى غاستون باشلار، من خلال تأكيده على حدس اللحظة، إلى بلوغ شكل من الوعي الخالص، وعي يُفصح عن الكائن بوصفه وجوداً متجدداً ومتحولاً باستمرار. فاللحظة ليست مجرد قَطع للزمن، بل انكشاف للذات وهي تمارس فعل التفكير بوصفه إعادة تشكيل للعالم. نحن لا نفكر في العالم فقط، بل نفكر ضد العالم أيضاً، بمعنى أننا نمارس سلطة الخيال والصياغة على ما يُعطى لنا. لذا، فأن (ألانا أفكر) تعني، عند باشلار، أنا أُعيد خلق العالم كما أفكر فيه (باشلار، الماء والاحلام، ٢٠٠٧، صفحة ٢٧٣).

ومن هذا المنطلق، يعرّف باشلار الشعر بوصفه ميتافيزيقا للحظة، لأنه لحظة انفعالية تنبثق فيها التناقضات لا كصراع، بل كوحدة زمنية عمودية تكشف عن جوهر الكينونة. فالشعر لا يُولَد من استمرارية الشعور أو تراكم الإرادة، بل من التوقف، من الفراغ، من لحظات الصمت والاسترخاء التي تُتيح للخيال أن يصعد. ويؤكد باشلار ذلك بقوله: لا شعراً عظيماً دون فواصل عريضة من الاسترخاء والبطء. فالفكر الشعري، كالفكر الفلسفي، لا يسير في خط متصل، بل ينبثق عمودياً، فجائياً، كوهج يخترق الزمن الأفقي ويؤسّس معنى جديداً. بذلك، يُصبح الشعر عند باشلار لحظة وجودية خالصة، زمنا يتكثّفُ فيه الوعي ويصوغ عالماً لا يُشبِه إلا ذاته (باشلار، جدلية الزمن، صفحة ٤٤). ويشبه باشلار الفكر الفلسفي والشعري بتعبير جميل جداً بقوله: انه يشبه لهب الشمعدان الموضوع على طاولة الحالم المتماهي مع الحلم الذي يقدم احلام اليقظة العمودية. وهذا اللهب هش. نفخة واحدة تكفي لتزعجه، الا انه سينتصب حتماً. قوة ارتفاعية تعيد له امتيازاته، تلتهب الشمعة عالياً وينكفيء لونها القرمزي (باشلار، لهب شمعة، ٢٠٠٥، صفحة ٦٦).

الاستنتاجات:

ويمكننا استنتاج بعض الأفكار الأساسية التي تناولناها في هذا البحث:

١. إن تأمل الزمان يُعدّ في نظر باشلار، المهمة الجوهرية التي تنهض عليها كل فلسفة أصيلة، إذ تُعد نتائج هذا التأمل ضرورية لفهم بنية المعرفة وتحديد خصائصها، كما تمثل أساسًا لفهم أبعاد الخلق الأدبي وتجلياته.

٢. يقسّم باشلار فعل الخيال إلى ثلاث تجليات رئيسة: الخيال الصوري الذي يتجسد في الأشكال والصور، والخيال المادي المرتبط بالعناصر الطبيعية الأربعة، والخيال الحركي الذي يعكس دينامية التمثلات الذهنية والحسية.

٣. يولي باشلار أهمية خاصة للترابط بين العلة الصورية والعلة المادية، مؤكداً أن الفعل الإبداعي لا يكتمل إلا من خلال هذا التلازم. وهو بذلك يمنح الخيال المادي موقعاً مميزاً، بوصفه أحد المحركات الأساسية للصور الشعرية والتجربةالجمالية.

٤. يؤمن باشلار بأن الحلم يسبق الفكر في التكوين الإنساني، لذا منح الذاكرة وأحلام اليقظة مكانة مركزية في مشروعه الفلسفي. كما ميّز بين حلم اليقظة بوصفه تجربة إيجابية خلاقة تفتح أفاق الشعر والفلسفة، وبين الحلم الليلي السلبي الذي يعكس اضطراب النفس وقلقها.

٥. تشكل أنطولوجيا الذاكرة عند باشلار منظومة رمزية غنية بأنماط عريقة، وهي أنماط تتجاوز الفردي إلى الجمعي، وقد استعان باشلار في بلورة هذا التصور بمفاهيم كارل يونغ حول اللاوعي الجمعي، ليرسّخ بذلك بعداً أنطولوجياً

عميقاً للخيال والذاكرة معاً.

الخاتمة:

في ضوء ما تقدم، تتبدّى فلسفة غاستون باشلار بوصفها ثورة هادئة في بنية الفكر الغربي، فهي لا تسعى إلى نفي العقل، بل إلى تجاوزه، نحو أفق أكثر رحابة، إذ يتأسس الكائن البشري لا عبر المفهوم بل عبر الحلم، لا من خلال البرهنة بل عبر الصورة، لا عبر الحجة بل من طريق الإقامة في جماليات الوجود. لقد أعاد باشلار الاعتبار للخيال، لا كوظيفة تزيينية، بل كسلطة أنطولوجية ومعرفية قادرة على إنتاج المعنى، وإعادة تشكيل الذات في عمق علاقتها بالعالم والمادة والزمان.

إن مركزية حلم اليقظة في فلسفة باشلار تكشف عن تحوّل عميق في تصور المعرفة ذاتها، إذ لم يعد يُنظر إلى الحلم بصفته منفصل عن الواقع أو كهروب من شروطه، بل كانغمار في حقيقته الداخلية، حيث يتحول الكائن إلى كينونة حَالِمة، تُعيد صياغة العالم من الداخل، من خلال صور لا تُشتق من الماضي بل تُولد في لحظة حضور مكثف للخيال. وهنا تصبح أحلام اليقظة لحظات انخطاف أنطولوجي، يعيش فيها الكائن انفتاحه على الوجود عبر وساطة الروح المؤنثة فيه، التي تمنحه إمكانية الاندماج بالصورة والانصهار بها، في تجربة تتجاوز الانفصال التقليدي بين الذات والموضوع. وإذا كان الخيال المادي هو المجال الذي تتكثف فيه هذه الإمكانية، فإن ما يميّز باشلار حقا هو قراءته للمادة لا بصفتها موضوعاً خاماً للعقل، بل ككائن حي مشحون بالإيحاءات، يختزن طبقات من الرموز، والعواطف، والأنماط الأصلية. فكل مادة، وفقا لرؤية باشلار، هي حامل لأنطولوجيا خاصة بها: النار ليست مجرد عنصر فيزيائي بل تجربة وجودية، والماء ليس فقط سائلاً بل رمزاً للسيولة النفسية والذاكرة، التراب ليس أرضاً صلبة بل مجالاً للدفن والولادة، والهواء ليس فراغاً بل مجالاً للحلم والسمو. بهذه المقاربة، يعيد باشلار الشعر إلى جوهر الفلسفة، ويعيد الفلسفة إلى حميمية الحلم.

إن موقف باشلار من الزمن يعمّق أطروحته في الخيال والخلق. هو لا يتبنّى مفهوم الزمن الخطي المتصل كما في العقلانية العلمية، ولا حتى الديمومة كما عند برغسون، بل يقترح تصوراً (عمودياً) للزمن، أي لحظات شعرية خارقة للترتيب الزمني، تنفصل فيها الذات عن الامتداد وتدخل في كثافة اللحظة، وهي لحظة الومضة، أو الكشف، والإدراك الشعري. هذه اللحظات ليست قوساً خارج الزمن، بل هي جوهره الكثيف، وهي التي تتيح للصورة أن تُولد لا كتكرار بل كخلق.

من هنا تأتي قيمة الصورة الشعرية في فلسفة باشلار. فهي ليست أداة تمثيل، بل حدث وجودي انبثاق يعيد تشكيل الذات والعالم معا. فالصورة لا تُفسّر، بل تُعاش، لا تُفكّك بل يصغى إليها. وباشلار لا يقرأ الصورة كما يُحلّل النص، بل كما يُنصِت إلى النَفَس الأول للكائن وهو يتنفس في اللغة. ولذا فقراءته للصورة هي قراءة ظاهراتية، تُعيدنا إلى لحظة ولادتها، إلى ما يسميه (الخيال البنّاء)، الخيال الذي لا يعيد إنتاج ما هو موجود، بل يخلق ما لم يكن موجوداً.

ان مشروع باشلار ليس مجرد تأمل جمالي في الشعر أو الخيال، بل هو مشروع أنطولوجي وفلسفي عميق يعيد موضعة الإنسان في الوجود، لا بوصفه كائناً عاقلاً أولا، بل بوصفه كائناً حالِماً، شاعراً، متخيّلاً، قادراً على استنطاق العالم بوساطة الصور، والعناصر، والذكريات، والأحلام. فالذات لا تكتمل إلا حين تدخل في صداقة حميمية مع صورها الداخلية، ومع الطاقات الرمزية التي تسكن الأشياء، ومع الطفولة الخيالية التي لم تُنسَ بل أُخفيت تحت عبء العقلنة.

في الختام، يكشف لنا باشلار أن الفلسفة لا تكون فلسفة حقاً إلا إذا أصغت لما هو شعري في العالم، لما هو غير قابل للاختزال إلى مفاهيم أو أنساق. إنه يدعونا إلى تفلسف خيالي، لا يتنكر للعقل، لكنه ينفتح على عوالم أخرى من المعنى، و على صور تسبق اللغة، على ذكريات لا تسكن الماضي بل تُولد من الحلم، على زمن لا يُقاس، بل يُعاش في لحظة من الصفاء التأملي. وبهذا، تصبح أحلام اليقظة، لا لحظات من التيه، بل أفقاً أنطولوجياً تتصالح فيه الذات مع نفسها، والعالم مع رمزيته، والفكر مع مادته الشعرية الأصلية.

المراجع:

١. احمد عويز. (٢٠١٧). الذاكرة والمتخيل نظرية التأويل عند غاستون باشلار (المجلد ط١). بيروت _لبنان.

٢. ادموند هوسرل. (٢٠٠٧). فكرة الفينومينولوجيا (المجلد ط١). (فتحي انقرو، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية.

٣. اندريه لالاند. (بلا تاريخ). موسوعة لالاند الفلسفية (الإصدار ج١، المجلدات ط٢-ج١). (احمد عويدات، المحرر، و خليل احمد خليل، المترجمون) بيروت _باريس: منشورات عويدات.

٤. بن عبدالله حسين. (٢٠١٨). الاسهام الفينومينولوجي في الابستمولوجيا (هوسرل وباشلار).

٥. رمضان الصباغ. (٢٠١٠). مدخل لعلم الجمال (المجلد ط١). دار الوفاء للطباعة والنشر.

٦. رمضان الصباغ. (٢٠١٠). مدخل لعلم الجمال (المجلد ط١). الاسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر.

٧. سعيد بوخليط. (٢٠١٢). غاستون باشلار مفاهيم النظرية الجمالية (المجلد ط١). (تقديم رانية الشريف العرضاوي، المحرر) اربد _عمان: عالم الكتب الحديث.

٨. شاكر عبد الحميد. (٢٠٠٩). الخيال من الكهف الى الواقع الافتراضي. الكويت: عالم المعرفة, سلسة, صفر ١٤٣٠.

٩. عبد العزيز غوردو. (بلا تاريخ). : ما لم يرد عند باشلار. E_ KutubLtd.

١٠. عماد فوزي الشعيبي. (١٩٩٩). الخيال ونقد العلم عند غاستون باشلار (المجلد ط١). دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة.

١١. غادة الامام. (٢٠١٠). غاستون باشلار جماليات الصورة (المجلد ط١). لبنات: التنوير للطباعة والنشر.

١٢. غاستون باشلار. (١٩٩٥). شعلة قنديل (المجلد ط١). (خليل احمد خليل، المترجمون) المؤسسة الجامعية للدراسات والنش.

١٣. غاستون باشلار. (٢٠٠٥). لهب شمعة (المجلد ط١). (مي عبد الكريم محمود، المترجمون) الاردن– عمان: ازمنة للنشر والتوزيع.

١٤. غاستون باشلار. (٢٠٠٧). الماء والاحلام, دراسة عن الخيال والمادة (المجلد ط١). (ادونيس، المحرر، و علي نجيب ابراهيم، المترجمون) بيروت – لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

١٥. غاستون باشلار. (بلا تاريخ). التحليل النفسي للنار. (نهاد خياطة، المترجمون) بيروت: دار الاندلس.

١٦. غاستون باشلار. (بلا تاريخ). جدلية الزمن (المجلد ط٤). (خليل احمد ابراهيم خليل، المترجمون) بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات.

١٧. غاستون باشلار. (بلا تاريخ). جماليات المكان (المجلد ط١). (غالب هلسا، المترجمون) الاسكندرية: منتدى مكتبة الاسكندرية.

١٨. غاستون باشلار. (بلا تاريخ). شاعرية احلام اليقظة علم شاعرية التأملات الشاردة (المجلد ط١). (جورج سعد، المترجمون) مصر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

١٩. كارل غوستاف يونغ. (١٩٩٥). عالم النفس التحليلي. (نهاد خياطة، المترجمون) اللاذقية: دار الحوار.

٢٠. هنري برغسون. (١٩٨١). التطور المبدع. (جميل صليبا، المترجمون) بيروت: اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع.

المراجع الانكليزية:

21. Bachelard, G. (1960). La poétique de la rêverie. Paris: Paris Presses Universitaires de France.

23. Edwaed k, K. (2003). Gaston Bachelard s philosophy of imagination،in:Tweniti the–century Literary. U.S.A: janet witalec،Thomson Gate.

24. Jacgues , E. (1984). introduction to Gaston Bachelard ،in velocities of change. (R. macksey, Ed.) London: the johns Hopkins university press.

25. Robert , c. (1972). Gaston Bachelard،in:modern French criticism. (j. k.simon, Ed.) the university of Chicago press, Chicago and London.

فصلية مُحكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (١٦) السنة الثالثة ربيع الأول ١٤٤٦ هـ أيلول ٢٠٢٥ م

Al-Thakawat Al-Biedh Maga-

Website address
White Males Magazine
Republic of Iraq
Baghdad / Bab Al-Muadham
Opposite the Ministry of Health
Department of Research and Studies
Communications
managing editor
07739183761
P.O. Box: 33001
International standard number
ISSN 2786-1763
Deposit number
In the House of Books and Documents
(1125)
For the year 2021
e-mail
Email
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

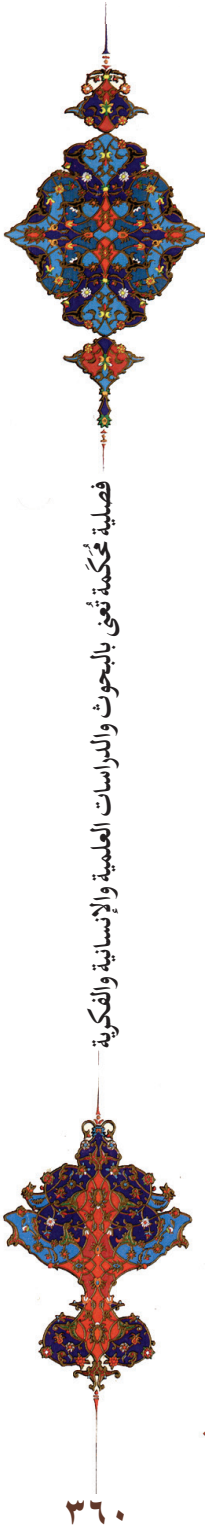

فصلية مُحَكّمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (١٦) السنة الثالثة ربيع الأول ١٤٤٦ هـ أيلول ٢٠٢٥ م

general supervisor
Ammar Musa Taher Al Musawi
Director General of Research and Studies Depart-ment
editor
Mr. Dr. fayiz hatu alsharae
managing editor
Hussein Ali Mohammed Al-Hasani
Editorial staff
Mr. Dr. Abd al-Ridha Bahiya Dawood
Mr. Dr. Hassan Mandil Al-Aqili
Prof. Dr. Nidal Hanash Al-Saedy
a.m.d. Aqil Abbas Al-Rikan
a.m.d. Ahmed Hussain Hai
a.m.d. Safaa Abdullah Burhan
Mother. Dr.. Hamid Jassim Aboud Al-Gharabi
Dr. Muwaffaq Sabry Al-Saedy
M.D. Fadel Mohammed Reda Al-Shara
Dr. Tarek Odeh Mary
M.D. Nawzad Safarbakhsh
Prof. Noureddine Abu Lehya / Algeria
Mr. Dr. Jamal Shalaby/ Jordan
Mr. Dr. Mohammad Khaqani / Iran
Mr. Dr. Maha Khair Bey Nasser / Lebanon